Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم يظهر اللفظ الجنيس التالي فيقفز ذلك المعنى الأول فيرشحه الذهن إلى الدخول في السياق إلاّ أنه لا يلائمه فيطرحه ويقرّ المعنى الذي يلائم السياق. وتتواصل هذه العملية إلى أن تنتهي سلسلة الألفاظ المتجانسة. فالجناس كما ترى يقوم على استدعاء المعنى السابق في لفظ آخر فهو نوع من أنواع الترسيخ إذ يحمل اللفظ الجنيس معنى سابقاً ليس له ويحمل كذلك معناه هو، ولكن هذا الترسيخ لا يدوم إذ يكتشف المتقبّل أنه يقوم على المغالطة والتشويش.

فالجناس يقوم على مفارقة بين وجهي العلامة اللغوية، إذ الأصل فيها أن يطابق وجهها الحسي (الدال) مدلوله، ولكن الجناس يشوّش ذلك التطابق فيفتق تلك اللحمة ويخيّل بوحدة صوتية بين ألفاظ متباعدة في الخطاب ولكنها تخفي اختلافاً في الدلالة. فتكون للمتقبل لذتان:

ـ الأولى: صوتية موسيقية يحدثها التناغم الذي يوجده الجناس

ـ الثانية: دلالية إذ يبحث عن المعنى المخفي وراء تشابك صوتي ـ صيغي.

بعد هذا العرض يمكن أن ننظر في أثر الجناس في الدلالة من خلال نموذج أبي نواس، وقد دخلنا مجال التأويل:

وننطلق في ذلك من معنى «راح» الأولى التي أطلقنا عليها «مولّد الجناس» هو: «الضياع». وقد بدأ به صدر بيت أبي نواس وانتهى بلفظ يدلّ على الهيام أو الضياع صراحة «يهيم». فالصدر أذن ينفتح بالضياع وينغلق عليه. ويتوسط معنى الشقاء الوارد في لفظ «الشقي» بين القطبين وإذا الضياع مطلق في ربوع الصحراء مكاناً وفي الماضي المدبر زماناً، فهو فراغ وخسران.

أما عجز البيت فيقوم على تجنيس كثيف إذ يشتمل على عدد كبير من الألفاظ المتجانسة فهو موطن الانفجار يبدأ بمولّد الجناس من حيث الصوت «الراح» [الخمر] وهي مولّد الهيام من حيث مفعولها في شاربها، ويتكثّف هذا المعنى بـ«راحي» التي تشير إلى اليد وبـ«رحت» التي تشير إلى الرواح. فالرّاح تتضمن صوتياً ودلالياً «الراحة» و«الرّوْح» و«الرُّوح»، وإذا العجز كله راحة ولذة مضاعفة ترتبط بالضمير المتكلم وهو يعود على الشاعر. وقد انتفى الشقاء معنى ولفظاً من العجز لحضور ما به ينتفي وهو الخمرة في لفظ

= ـ ذاكرة طويلة المدى mémoire à long terme : هي ما يختزن فيه المعلومات المختلفة التي قد تعود إلى سن مبكرة أو أمد بعيد. (انظر مادة ذاكرة mémoire من: Sillamy Norbert Dictionnaire usuel de psychologie Bordas 1983.